"المعتزلة الجدد" و نفق العلمانية في المغرب :

إن الهجوم على السنة النبوية قديم ، فقد كان من أوائل من طعن في السنة النبوية النظام وإليه تنتسب الفرقة النظامية المعتزلية وقد رد عليه ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث .

و أشار الشافعي -رحمه الله - في كتابه الأم الى قوم يردون السنة جملة وذكر مناظرته لبعضهم .

والمعتزلة من الفرق التي تحكم العقل في السنة قبولا وردا ، فهم يجعلون العقل أول الأدلة و يرجعون إليه التحسين والتقبيح ،بل وصل بهم الحال إلى ذم تعلم الحديث و نفروا منه ، و قالوا بأنه لا حاجة إلى تعلمه إذ العقول تغني والاذهان تكتفي .

وقالوا بجواز وقوع الكذب في الخبر المتواتر و الحجة العقلية عندهم كفيلة بنسخ الاخبار .

وكان موقفهم من أخبار الاحاد بأنها لا تصدق ولا تكذب و لا يؤخذ بها في العقيدة مطلقا ،و جوزوا الأخذ بها في الاعمال في حيز ضيق وبشروط وقيود .

و إذا رأوا مخالفة الحديث لعقولهم أسقطوه .

واليوم قد بعثت روح الاعتزال عند كثير من مدعي الفكر و البحث العلمي و جعلوا السنة غرضا لسهامهم .

وهذا يندرج في حرب فكرية مسعورة على الاسلام، فبعد غزو المسلمين عسكريا وسياسيا واقتصاديا بقيت هوية أكثر المسلمين صامدة و ديانتهم قائمة، فعلم أعداء الأمة أن سلخ هذه الهوية وهدم هذه الديانة لا يتأتى إلا بغزو فكري يخرج أجيالا متهلهلة تختلط عليها الامور فتصاغ لها هوية مطاطة تقبل قوالب الثقافة الغربية ،وتذوب فيها و تستسلم للهيمنة التامة .

الغزو الفكري للأمة كان ببث الشبهات حول أصول الاسلام من قرآن وسنة ، و إسقاط رموز الاسلام بألوان التدليس والحيل الفكرية ، و هذا الافساد الفكري بدل في سبيله المستشرقون قديما جهودا مضنية، فقد كانت لهم أعمال كبيرة مرتبطة بتراث المسلمين لكن ملؤوها بشبههم و دسوا السم في العسل في ما يكتبون ، و ما يدرسونه لأبناء المسلمين في الجامعات والمدارس، لكن اليوم يحمل راية الافساد الفكري أبناء جلدتنا ممن يسمون مثقفين و مفكرين وأنا أسميهم "المعتزلة الجدد" ، وهم أشد من المستشرقين في جراءتهم و هجومهم على ثوابت المسلمين ورموزهم .

و للحديث عن هذه الفئة التي بليت بها الأمة عامة والمغرب خاصة لا بد من الحديث عن الاتِّجاه الليبرالي العربي الذي تربى على كتب المستشرقين، ورضع أفكارهم بالجامعات و المعاهد ، فكان حلقة الوصل بين هؤلاء وأولئك ، و هذا التيار جعل تُراث المعتزلة أحد مرتكزاته الفكرية لإثبات أصالة أفكاره وصِلَتِها بالإسلام، خاصَّة في تثبيت مفاهيم الحرية الفردية، وتعظيم العقل ،والتوسُّع في تأويل النَّص لموافقة الواقع، و النتاج الفكري لهؤلاء هو مرتكز كل علماني للتنظير لكل ما يصادم عقيدة المسلمين و أخلاقهم.

لا شك أن العلمانيين اليوم لم يشتقوا مذهبهم ولا آراءهم من الإسلام ،ولا كانت بداياتهم منه ،بل كان منطلقهم هو الثقافة الغربية المحضة ، فأخذوا من الغرب مبادئه، وارتووا من أفكاره ،ثم رجعوا يطلبون لهم من أهل الاسلام موافقا ، فوجدوا التيار اللبرالي وأفراخ المستشرقين لهم نتاج أصوله معتزلية يتوسل من خلاله لبث سمومهم ، فتبنوا أصول الاعتزال ؛لكنهم خالفوا المعتزلة في المنشأ و الغاية ،فقد كان ضلال المعتزلة بسبب مذهبهم العقدي الذي وضعوا له أصولا منحرفة، وكانت غايتهم تنزيه الله تعالى و نصرة الحق ، فالمعتزلة القدامى كانت منطلقاتهم اسلامية و غايتهم سامية في ظنهم ؛أما المعتزلة الجدد (بنو علمان) فبعثوا روح الاعتزال بانتقائية في محاولة منهم لصبغ باطلهم بسمت إسلامي، لذلك وقعوا في تناقضات كثيرة فضحت جهلهم و كشفت عوراتهم ، وغايتهم ضرب الاسلام و هدمه ، لبناء صنم العلمانية الغربية. فشتان بينهم وبين المعتزلة الذين انتسبوا إليهم فكرا ليرفعوا بهم خسيستهم، و ينفوا حقيقة نسبهم الغربي .

لا يخفى على المغاربة ما أثاره هؤلاء العلمانيون في بلادنا في السنوات الأخيرة من شبه حول ثوابت المسلمين ورموزهم

انطلاقا مما كتبه و أصله المستشرقون و أفراخهم اللبراليون ، واتخذت مسألة نقد التراث الاسلامي حيزا كبيرا من اهتماماتهم لأنه كان لا بد من إيجاد تبريرات لأطروحاتهم التي تخالف هوية الشعب المسلم وإيديولوجياته و مفاهيمه الأصيلة حول الدين في الجانب العقدي ،و في الجانب العملي و الأخلاقي .

وقد انبعث لهذا العمل أشقياء من أمثال أحمد عصيد ،و مصطفى بوهندي ،و خديجة البطار ،و سعيد لكحل ،و عبد الكريم القمش ،ورشيد أيلال ،و منتصر حمادة ،ومصطفى لمودن ،و الطيب الشفشاوني ،والمهدي بوعبيد وغيرهم كثير ، كتبوا كتبا و عشرات بل مآت المقالات و

و التغريدات ،و سجلوا حلقات تلفزيونية ،و إذاعية كثيرة ،و فسحت لهم المنابر الاعلامية الرسمية وغير الرسمية المجال ليبثوا سمومهم بكل أريحية ،ولن يجد الدعاة و من يريد رد باطلهم نفس الترحيب، فالمنظومة متكاملة لإفساد المجتمع، و العلمانيون تحكموا في وسائل الإعلام و سخروها لخدمة رسالتهم .

وبالموازاة كان أشقياء غيرهم يتولون كبر الإفساد الأخلاقي عن طريق الشهوات و بثها في المجتمع عبرالمهرجانات ،ووسائل الاعلام بكل ألوانها لذلك فهناك علاقة حميمية بين من يتولى كبر الافساد الفكري و بين من يتولى كبر الإفساد الأخلاقي والسلوكي

فنبيل عيوش و أبيضار و أحرار و مومو و غيرهم من أشقياد الإفساد الأخلاقي يجدون كل الدعم والتأييد من إخوانهم المفكرين الذين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ،و لا زال كلا الطرفين يتضامن حسا ومعنى مع الآخر ، إذا وجهت أي ضربة لأحد الأطراف من العلماء والدعاة أو من الجهات الرسمية والوصية على الشؤون الدينية أو القضائية بالمغرب .

و لا أنسى الإشارة إلى الدور اليهودي في دعم هؤلاء ماديا ومعنويا ، فقد تمت استضافة عدد منهم بدولة الكيان الصهيوني مرارا ، و أكرموهم و بجلوهم ، ولعلهم وضعوا خططا مشتركة للعمل ؛ وهذا ليس غريبا على اليهود فهم أكثر الأجناس ركوبا على شواذ الآفاق لاختراق أقطار المعمورة .

يقول الأستاذ عبد السلام بسيوني في بحثه حول العقلانية: (وإنني بالبحث لم يخامرني دهشة ولا عجب حين قرأت أن

بذور الدعوة العقلانية بذور يهودية، يبرر سارتر الوجودي اليهودي نشرها في العالمين بأن البشر ما داموا يؤمنون بالدين

فسيظل يقع على اليهود تمييز مجحف، على اعتبار أنهم يهود، أما إذا زال الدين من الأرض وتعامل الناس بعقولهم، فعقل

اليهودي كعقل غير اليهودي. ولن يقع عليهم التمييز والحيف)

.

ويقول سارتر اليهودي – أيضاً -: (إن اليهود متهمون بتهم ثلاث كبرى هي: عبادة الذهب، وتعرية الجسم
البشري، ونشر العقلانية المضادة للإلهام الديني)

.

بل إن بعض أفراد هذا التيار له علاقة مباشرة مع الموساد الإسرائيلي ، و استخدام بعضهم أو تجنيده ليس مستبعدا و هناك مؤشرات عن نشاط متزايد للموساد بالمغرب ينبغي الحزم في مواجهته

.

وزيادة في التعريف بمنهج تيار المعتزلة الجدد فليعلم القارئ أن لفكرهم سمات عامة تتلخص فيما يلي :

١ -الغلو في تحكيم العقل، وتقديمه على النصوص الشرعية وهذا واضح جدا في طرحهم و يجعلونه منقبة لهم .

٢ -تفسير الإسلام في عقيدته وأصوله تفسيراً عقلانياً مادياً أو فكرياً، دون اعتبار لمفاهيم النصوص عند السلف و علماء الأمة و مخالفين لهم في
منهج

التلقي والاستدلال،
وحاولوا إخضاع القرآن والسنة للمقاييس المادية حتى تتلاءم مع منهج وقيم الحضارة الغربية التي يرونها مقياسا
لكل نهضة وتقدم .

٣ -رد الأحاديث التي تخالف منهجهم و لا يمكن تأويلها، متواترتها أو آحادها ، في الصحيحين أو في غيرهما .

و يزعمون أنهم إنما يقصدون تنقية السنة من الموضوعات ،و تنزيه الرسول عن النقص و القول الغلط ،و قد كذبوا والله إنما قصدهم إسقاط السنة وهدم الشريعة كما أسلفت .

٤ -الطعن في الصحابة والتابعين وخصوصاً المكثرون من رواية الحديث .

٥ -إنكار المعجزات، وكثير من الغيبيات؛ كالملائكة والجن والسحر. وهذا أمر حتمي لمن قدم العقل على النقل.

٦ -الدعوة إلى التقارب ووحدة الأديان.

٧ -الدعوة إلى القومية وهذا اشتهر به بعضهم أكثر من بعض فممن اشتهر به أحمد عصيد و عشيقته مليكة مزان .

٨ -اضطراب وخلط مقصود في مفهوم الولاء والبراء .

٩ - الدعوة إلى تجديد الدين،

وحقيقة هذه الدعوة تبديل الدين وتغيير أحكام الشريعة الربانية، وفتح الباب لكل عقل بأن يقول في دين الله ما شاء.

١٠ -تمجيد الشخصيات المنحرفة؛

التي قد يخدم فكرها مسلكهم وينصر منهجها طريقتهم .

فتجدهم يمجدون بعض المحسوبين على التيار الاسلامي ممن ظهر انحرافه وعلمت انتكاسته كالمدعو عبد الوهاب رفيقي ،هذا الرجل الذي لا زال في منحدر خطير منذ خروجه من السجن ، ولا زالوا يحتفون به و يحتوونه حتى أصبح فارسا من فرسانهم ، واستغل سابقته في الدعوة والتدين لإعطاء خرجاته التي تفوح منها رائحة العلمانية مصداقية، وصبغة الاجتهاد باسم الدين ،ولا أشك أن الرجل انظم إلى قافلة "المعتزلة الجدد" ،و قرائن ذلك كثيرة ،كان آخرها انضمامه إلى مجموعة على الفيسبوك اسمها "العلمانيون المغاربة " أسسها العلماني عبد الكريم القمش الذي اشتهر بطعنه في الصحيحين .

وبالمناسبة هذه المجموعة تضم آلاف العلمانيين و لهم خطة في التغلغل في المجتمع ؛فالمجموعة صرح المسؤولون عنها بأنها تنوي التحول الى كيان سياسي بمجرد خروجها الى العلن ،و عندهم نية بإنشاء قناة على اليوتيوب لنشر فيديوهات تعرف بالعلمانية وأهدافها ،و توضح للناس أنها ليست ضد الدين و لا تنشر الالحاد بحد زعمهم ؛فهل يشك في علمانية الرجل بعد انضمامه الى مجموعة هذه حالها .؟!

هذه أبرز السمات العامة لأرباب هذا التيار (المعتزلة الجدد) .

و هذه السمات تتجلى أيضا --وللأسف الشديد-- في فكر كثير ممن يحسب على التيارات الحركية في المغرب ،وخاصة التي لها شق سياسي كالعدالة والتنمية فكثير منهم يحمل في جبته الاسلامية كيسا علمانيا (معتزليا) ،ولعل أشهرهم السيد رئيس الحكومة سعد الدين العثماني الذي ألف كتبا إذا تأملها القارئ فسيجدها لم تخرج عن تلك السمات العشر.

فالرجل في كتبه يؤول كلامه إلى نفي وجود نظام سياسي واقتصادي إسلامي ، ينبغي التمسك به ، وبمعنى أصح ينفي وجود شيء اسمه "سياسة شرعية " و العثماني لا يعتبر الخلافة الاسلامية نظاما

سياسيا محددا ،ولا نموذجا معياريا يقاس عليه ،و يطلب شرعا السعي إلى تحقيقه ، بل يعتبرها مجرد تجربة تاريخية وممارسة بشرية وإنسانية ؛ كما أنه يجوز الإجتهاد والتجديد وفق منظور "المعتزلة الجدد" في مسلمات و ثوابت كمسائل الإرث، وهذا يفسر عدم اكتراث العثماني وأمثاله من رواد الحركة الإسلامية لكثير من المعارك التي يخوضها الغيورون من العلماء والدعاة ضد هذا التيار لرد صائلته عن ثوابت ورموز هذه الأمة .

وقد كان المؤتمر الدولي الأخير حول السنة النبوية وتعزيز فكر الوسطية و الاعتدال الذي انعقد بالبيضاء فرصة ظهر فيها فكر المعتزلة الجدد ،و صدع به على رؤوس كبراء من التيار الاسلامي فكان لبعضهم تعقيبات مشرفة ،و بقي البعض على أصله في استساغة هذا الفكر أو تبنيه.

هذا المؤتمر عرف مشاركة رئيس الحكومة السيد العثماني و تم مناقشة كتابه الجديد " التصرفات النبوية السياسية" و قد سمعت تصريحا للسيد العثماني على هامش المؤتمر يقول في تلخيص لكتابه : " الكتاب كله يقول الواقع السياسي يجب النظر إليه بأدوات أخرى ليست فقهية "، و هذا ينسجم تماما مع ما يطرحه المعتزلة الجدد، و شارك في المؤتمر عدد من أقطاب الحركات الاسلامية من داخل المغرب وخارجه منهم الشيخ التونسي عبد الفتاح مورو- الذي لا يختلف كثيرا عن سعد الدين العثماني في توجهه وفلسفته - ، ولعل أكثر ما أثارني في هذا المؤتمر مشاركة مصطفى بوهندي صاحب كتاب "أكثر أبو هريرة " الذي طعن فيه في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه و شكك في صحبته ، وهي محاولة فاشلة من هذا الفاشل لإسقاط مرويات هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه ، و حرمان الأمة من جزء كبير من السنة نقله هذا الحبر، فهو أكثر الصحابة نقلا لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

بوهندي نموذج من هذا التيار الذين بعث الاعتزال بكل تجلياته القبيحة ، اغتنم هذا المؤتمر فرصة للتنظير لفكره المنحرف ، بل طبق أصول هذا التيار عمليا على مسائل خطيرة كافأه بعض أصحاب الجبة الحركية بتصفيقات وابتسامات عريضة .

فمن يعول على الحركيين السياسيين في الانتصار للسنة وثوابت الأمة ،و الإسهام في مدافعة التيار العلماني ببلدنا فهو يعول على سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

إنه من الخطر الكبير على هوية المسلمين وجود تكتلات لها قوة سياسية و أكاديمية داخل البلدان الاسلامية تجمع هؤلاء اللبراليين والعلمانيين الذين يسمون أنفسهم مثقفين ومفكرين ، وقد تواطؤوا على التشكيك في عقائد المسلمين ،و نشر الشبه حول ثوابت الاسلام وأصوله، و بث ذلك وسط جيل ليس له حصانة فكرية ، و قد أصيب في مقتل من خلال مناهج التعليم التي بدورها صيغت منذ خروج المحتل لتهييء هذه العقول لتلقي وقبول مثل هذه الشبه .

فهذه التكتلات وصلت إلى مراكز القرار و سخرت مؤسسات الدولة ومنابرها الرسمية لخدمة مشروعهم العلماني المصادم لهوية المسلمين وثوابتهم، و أصبح الاسلام يحارب في عقر داره و أحيانا باسم الاسلام ولا حول ولا قوة الا بالله .

فعلى الدعاة والعلماء الصادقين التشمير على ساعد الجد، و الحرص على توعية المجتمع بخطر هؤلاء ،و بيان حقيقة مشروعهم الخبيث، وعداوتهم المبطنة لأهل الاسلام ،و بيان أوصافهم بل

وتسمية من عرف منهم ؛ و بيان أصولهم التي ينطلقون منها ،و تفنيذ شبههم و تحصين المجتمع منها .

كما أنه لا سبيل لمدافعتهم على الوجه الأكمل إلا بإحداث مشاريع دعوية كبرى تقوم عليها تكتلات وهيئات تضاهي مشاريع هؤلاء الحداثيين والعلمانيين .

كما أنه قد باتت مدافعة هذا السيل الجرار من الشبه و الهجوم على أصول الاسلام من قرآن وسنة تقتضي إنشاء مراكز ومراصد و منابر إعلامية ضخمة يشرف عليها العلماء و يفرغ فئام من طلبة العلم والدعاة الأكفاء لرصد هذه الشبه و الرد عليها بشكل محكم ورصين، و تنشر تلك الردود على أوسع نطاق حتى يصل الرد حيث وصلت الشبهة .

هذا بلاغ للناس و ليذكر أولوا الألباب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

كتبه رضوان نافع

القنيطرة 12صفر 1439 ه

الموافق 2 نونبر 2017م